گۆڤارا ئەکادیمی یا زانکویا نەوروز (المجلة الأكاديمية لجامعة نوروز)، پ.١٣ ژ. ٢، ٢٠٢٤
حقوق الطبع والنشر ©2017. هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الابداعي النسبي – CC BY-NC-ND 4. 0، e-ISSN: 2520-789X
https://doi.org/10.25007/ajnu.v13n2a1261

النِّعَم الإلهية الظاهرة في سُورة النَّحل - دراسة بلاغية تحليلية
نِعْمَة الخَلقِ والإيجاد انموذجاً

أ.د نزاخورشيد مامه، كلية التربية الأساسية- جامعة دهوك، اقليم كوردستان العراق
رمزي قصي أحمد، كلية التربية / عقرة – جامعة دهوك، اقليم كوردستان العراق

ملخص البحث

يتناول هذا البحث النِّعَم الإلهية الظاهرة في سُورة النَّحل دراسة بلاغية تحليلية، وتعد هذه السورة المباركة من أكثر السور القرآنية التي وردت فيها نعمٌ إلهية لذا أُطلق عليها: (سُورة النِّعَم)، ومن هُنا كان اختيار هذه السُّورة المباركة لدراسة ما أسبغ الخالق العظيم من النِّعَم على عباده. وقد أخترنا من بين هذه النِّعَم في السورة نِعَم الخلق انموذجاً، تحقيقاً للتناسب في تسلسل النِّعَم الإلهية؛ لأنَّها مِنْ أوائلِ النِّعَم التي تفضَّل بها الخالق على البشرية جمعاء.

وقد حظيت دراسة البلاغة القرآنية بعناية كبيرة من قِبل الدارسين والباحثين, وذلك لما لها من الأثر الواضح والكبير في الكشف عن دقائق الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، فضلاً عن بيان دلالة مفرداتهِ وسياقاته، وجمالية ألفاظه ونصوصه، وروائع أسلوبه في التعبير، وحلاوة معانيه وعذوبته. وهنا تكمن أهمية البحث كونه يذكّر بالنِّعَم التي تفضَّل بها الخالق العظيم على عباده بأسلوب بلاغي جميل.

وقد بدأنا الدراسة بمقدمة تناولنا فيها إظهار مفهوم البلاغة القرآنية من خلال النِّعَم الإلهية في سورة النَّحل، وخاصة أنَّ هذه السورة قد تضمنت العديد من فنون النِّعَم الإلهية، وقد أخترنا نِعْمَة الخلق والإيجاد كنموذج من بين هذه النِّعَم؛ من خلال الاستشهاد بنماذج مختارة من آيات السورة التي تتناول مفهوم ودلالات النِّعَم.

وبعد قراءة مستفيضة لآيات السورة المباركة وتحديد الآيات التي تحتوي على نِعْمَةِ الخلق, تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث، سُبقت بمقدمة، وأعقبتها خاتمة تضمّنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث. تناولنا في المبحث الأول: (نِعْمة خلق السماوات والأرض والنجوم)، في حين تطرقنا في المبحث الثاني إلى:(نِعْمَة خلق الإنسان)، أمّا المبحث الثالث والأخير فقد تناولنا فيه:(نِعْمَة خلق الأنعام)، وختمنا كُل مبحثٍ بجدول بياني يوضح الفنون البلاغية الواردة فيه. ثم ذكرنا أهم النتائج التي توصلنا إليها، وأخيراً ختمنا البحث بعد الخاتمة والنتائج بجدولٍ للآيات المُتضمّنة لنِعْمَة الخلق في السُورةِ كملحق في نهاية البحث، وقد اشتمل هذا الجدول على جميع الآيات المتضمّنة لنِعْمَة الخلق سواء الآيات التي تم تحليلها في البحث أو التي لم يتم تحليلها، مع بيان نوع النِّعْمَة. وأخيراً ذيلنا البحث بالمصادر التي اعتمدنا عليها.

أما مصادر البحث فقد تنوعت بين كُتب التفاسير والبلاغة والنحو وغيرها من كتب اللُّغة، والتي من أهمها: التفسير البياني لما في سُورة النَّحل من دقائق المعاني لسامي وديع القدومي، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وغيرها من التراث التفسيري والبلاغي واللغوي التي كان لها الأثر الواضح في تحليل الآيات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: النِّعَم – الظاهرة - النَّحل - البلاغة - الخَلق .

المقدمة

الحَمدُ لله الذي بِنِعْمَتِهِ تتمُ الصالحات، وبفضلهِ تَنالُ البركات، وبحَمدهِ وشُكرهِ يُكافئُ المزيد من الخيرات، والصَّلاة والسَّلام على سيّد الكائنات محمد﴿ρ﴾ سيّد الأولين والآخرين، وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين، وأصحابهِ الغُر الميامين ومن تبعهم بإحسان أجمعين.

إنَّ القرآن الكريم هو الينْبوع الطّاهر الذي تنبعُ منهُ كثير من العلوم، فتمدّ روافده لتُضيء قلوب عباد الله المؤمنين، وتُعد دراسة البلاغة القُرآنية رافداً من هذا الينبوع الطّاهر، وقد حظيت باهتمامٍ كبير من قِبل الدارسين والباحثين، وذلك لما لها من ميزة خاصة تكشف عن الإعجاز البلاغي للقُرآن الكريم، فضلاً عن بيان دلالة مفرداتهِ وسياقاته، وجمال ألفاظه ونصوصه، وروائع أسلوبه في التعبير، وحلاوة معانيه وعذوبته وإلى غير ذلك من وجوه البيان والجمال في سياقات نصوصهِ وتعبيراته. فهُنا حسبنا أن نُشير إلى شيءٍ يسيرٍ من هذا الينبوع الطاهر المبارك.

وتكمن أهمية البحث في الإشارةِ على بعض القضايا البلاغية البارزة في القرآن الكريم ومن خلالهِ في العربية، فالقرآن الكريم كما هو معلوم هو الأساس لكل علوم العربية، والنِّعم الإلهية من الخصائص التي أكدت عليها آيات القرآن الكريم، وتوضيح مقاصدها البلاغية تعطينا صورة واضحة عن أساليب القرآن الكريم وطريقة عرضها للقضايا المختلفة.

ومن هُنا يأتي الهدف من هذا التأكيد على هذه المقاصد البلاغية التي تتضمنها آيات القرآن الكريم من خلال الاستشهاد بنماذج مختارة من سورة النَّحل التي تتناول مفهوم ودلالات النِّعم، ويحاول البحث أيضاً إظهار مفهوم البلاغة القرآنية من خلال هذه النِّعَم وخاصة أنَّ هذه السورة قد تضمنت العديد من فنون النّعم، وقد أخترنا نِعْمَة الخلق والإيجاد كنموذج من بين هذه النّعَم.

أمَّا السبب الذي دفعنا لاختيار هذا الموضوع، فهو حُبُّنا وشوقنا لدراسة بلاغة القرآن الكريم، والكشف عن وجوه إعجازه الخالد، فقد وقع اختيارنا على (النِّعَم الإلهية الظاهرة في سورة النَّحل- دراسة بلاغية تحليلية) حُبا وشوقاً لدراسة التعبير البلاغي عن النِّعَم التي أسبغها الخالق العظيم على عباده- آملين أن ننتفع به وينتفع به المهتمون بدراسة البلاغة القرآنية.

أما المنهج الذي اعتمدناه في البحث فهو منهج تحليلي بلاغي قائم على دراسة خصائص نِعَمة الخلق وأنواعها التي تضمنتها الآيات القرآنية ضمن السُّورة، ولما كان من المتعذر تحليل جميع الآيات التي تحتوي على نِعَمَة الخلق اعتمد البحث على مبدأ الانتقاء، وذلك بانتقاء آيات النِّعَم التي تحتوي على فنون بلاغية كثيرة ومتنوعة.

وختاماً فهذا الجهد المبذول في هذا البحث هو جهد المقل، فإن أصبنا في شيء منه، فذلك فضل من الله ونِعْمَه سُبحانه، ليس لنا من الفضل فيه من شيء, وإن أخطأنا في شيء منه فلذلك من قصور النفس المجبولة على النقص, فالكمال لله وحده.

فضل السورة:

يدور الكلام في هذه السورة المباركة حول ذكر النِّعَم الإلهية وبيان مظاهر قدرته- تعالى-[1]. قال القرطبي: وسمّيت سورة النحل بسورة النِّعم, لكثرة ما عدَّد الله– تعالى- فيها من نِعَمِه على عبادِه[2]. وحول هذه التسمية يكتفي الإمام البقاعيّ في تعليل ذلك بقوله: ووضوح تسميتها بالنّعَم, من كثرة ذكر النّعم والآلاء في هذه السورة، وكان من ستة البيان عن هذه النِّعَم, نظمه على نحو دالٍ على اختصاص الحَقّ -عزَّ وجلَّ- بفعل ذلك[3]. ومع أن التذكير بِنِعَم الله وأفضاله على الناس, منبثٌّ في كثير من السور القرآنية, وإن معظم ما جاء في هذه الآيات, قد جاء في سور أخرى, فإن هذه السلسلة من ذكر النعم تعد من أطول السلاسل القرآنية, من حيث الشمول والروعة[4]؛ وذلك لما ذكرت في السورة نماذج عدة من نعم الله، فهي بهذه النِّعَم كُلها حقٌّ أن تسمى بسورة النِّعَم، وهي تصلح مثالاً جامعاً لسائر نِعَم الله -عزَّ وجل- الواردة في سائر سور القرآن الكريم. وما اشتملت عليه من الأمثال والحقائق الجامعة التي ذكرت في السور الأخرى أو كانت قريبة من ذلك[5].

المبحث الأول : نِعْمة خلق السماوات والأرض والنجوم

إنَّ نِعْمَة خلق السماوات والأرض والنجوم ما هي إلاَّ مظهرٌ مِنْ مظاهرِ خلقِ الكون، ومِنْ المعلوم أنَّ خلق السماوات والأرض والنجوم بدأ قبل خلق الإنسان، فكان خلق هذه المظاهر الكونية تمهيداً لِخلق الإنسان، فكانت الأرضُ هي مكان استقرارِهِ والسماءُ بمثابةِ السقف للأرض، والنجومُ علامات ودلائل يسترشدون بها في سفرهم وانتقالهم منْ مكان إلى آخر، وبهذا يقول الله-عزَّ وجل-:﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾،(النَّحل:3).

إنَّ ابتداءَ الآية الكريمة بصيغة الفعل الماضي(خَلَقَ) الدالة على الإثبات والتحقيق فيه تنبيهٌ وإيحاءٌ إلى إثبات عملية الخلق لله وحده سُبحانه لا لغيرِهِ، ومما زاد هذا الأمر إثباتاً وتوحيداً لله جلَّ وعلا مجيء الفعل(خَلَقَ) بصيغة الإفراد، ففيه إثبات لوحدانية الخالقِ وعظمةِ صُنعه.

وفي قوله- تعالى-﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إيجازٌ بالحذف تقديرهُ : (خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)، فقد حقّق الإضمار في موضع الإظهار إيجازاً بلاغياً رائعاً مُستغنياً عن إظهار فاعلهِ بسياقٍ يليق بمقام الخالق جلَّ شأنه.

والخلق هي عملية خاصة بالله وحده دون غيره، ولم يشاركه فيها أحد، ولا ينازعه عليها مُنازع ولا يقدر عليها غيره [6]. وهي إبرازٌ من العدم إلى الوجود[7]، وهُنا تتجلى عظمة النِّعمة الإلهية في إيجاد المخلوقات من العدم إلى الوجود.

وقد خصَّ الله- تعالى- خلق السماوات والأرض بالذكر لأنها من أعظم ما خلق الله، ولأنها مشتملتان على أصناف شتى من الخلق، ولأن العباد يعيشون فوق الأرض وتحت السماء فلا غنى لهم عنها[8]. كما أنَّ الاستدلالُ بخلقِ السَّماواتِ والأَرضِ أَكبرُ مِنْ سائِرِ الأَدلَّةِ وأَجمع لأَنَّها محويَّةٌ لهُمَا،

ولأنَّهُمَا مِنْ أَعظمِ الموجوداتِ أمام المتفكرين في خَلْقِهِ- سُبحانه- فلذلك ابتُدِئَ بهما[9]، وفي هذا إشارة بليغة إلى التناسب والتناسق في ترتيب النِّعم الإلهية وترابطها، ما يوحي إلى وجود قادر مُبدعٍ حكيمٍ يُدبِّرِ أُمورَ عباده وفق ترتيب دقيق ونظام تام.

وفي قوله– تعالى-﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾،(النَّحل:3)، تقديمٌ وتأخير، فقد تقدَّم ذكر السماوات على الأرض لأمرين، الأول:((تشريفاً))[10]؛ وذلك بتشريف العالم العلوي الذي يتجلّى في عالم السماوات على العالم السفلي وهو الأرض[11]، وذلك لأنَّ الآيات في السّماوات أعظم منها في الأرض، لسعتها وعظمتها، وما فيها من الكواكب، والشموس والأقمار والبروج، واستغنائها عن عُمدٍ تُقلّها، او علاقة ترفعها، وكذلك براءتُها من الخلل والفطور، فالآية فيها أعظم من الأرض[12]،هذا من جهةٍ ومن جهة أُخرى من باب التدرج من الأعلى إلى الأدنى، هذا وبالإضافة إلى أنَّ خلق السماوات تم قبل إتمام خلق الأرض، فالله سبحانه وتعالى خلق الأرض وقدر فيها أقواتها ثم سوى سبع سماوات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فَخَلقُ السماوات تم قبل إتمام خلق الأرض[13]. وبهذا يتبينَّ أنَّ القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بدقة عجيبة، فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك، كل ذلك مراعى فيه سياق الكلام والاتساق العام في التعبير على اكمل وجه وأبهى صورة [14].

ومن بلاغة القرآن الكريم اختيار اللفظ المناسب في المكان المناسب، وهذا ما يتجلى هنا في عطف المفرد وهي (الْأَرْضَ) على الجمع وهي (السَّمَاوَاتِ)، ففيه سمةٌ بلاغية عالية ((تكمن في طريقة اختيار الكلمة المناسبة للمقام، والأليق في التعبير والأخفُّ على اللسان والأوقع في السمع))[15]، وهذا إن دلَّ على شيء إنَّما يدل على بلاغة القرآن الكريم وسموّه على كافة كلام العرب.

ومن المحسنات البديعية في نُظم الآية هو الطباق الإيجابي بين السماوات والارض وذلك ((أنَّ السماوات والارض لا تُشكِّل طباقاً لفظياً مُباشراً لانَّ العلاقة بينهما علاقة تنافر وانما يُكْمِنُ التضاد بما يُفْرِزَانَهُ من مفردات معنوية لكل من الطرفين، يتمثَّل بفوق وتحت أو أعلى وأسفل أو قصوى ودُنيا))[16]، وبهذا نجدُ أنَّ لهذا الطباق بلاغتهُ الخاصة، وذلك لما يُفرزهُ هذان المتضادان من دلالات متعددة خفية يستطيعُ الباحث الحذق أن يستشف المعاني من السياق التي وردت فيه.

والباء في قوله- تعالى-(بِالْحَقِّ) للملابسة، والحق ضد الباطل، وهو هنا بمعنى الحكمة والجد الذي لا هزل فيه ولا عبث معه، كما قال- تعالى-﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ& مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾،(الدخان: 38-39)، أي أنَّ الله- سُبحانه- خلق بقدرته النافذة السماوات وما أظلّت والأرض وما أقلّت, خلقاً ملتبسا بالحكمة الحكيمة، وبالجدية التي لا يحوم حولها لهوٌ أو عبث[17].

وقوله- تعالى-﴿ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾،(النَّحل:3)، مفصولة عما قبلها، لتمام الاتصال* فإن تمام الاتصال يوجب فصل الجملتين، كما يوجبه كمال الانفصال، إذ الجملة الأولى هي سببٌ للثانية، فإن الخلق للسماوات والأرض سبب لكمال العلو عن المثل والشريك[18].

وفي قوله- تعالى-﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله(فَاتَّقُونِ)،(النَّحل:2)، مخاطبةً لهم بما هو المقصود، وإيماء إلى أن التقوى هي المقصودة من الإنذار[19]. وفيه من التوبيخ للمشركين والنّاكرين لفضلهِ وقدرتهِ ما يليق بعظيم خلقهِ ونعْمَتهِ.

فالآية الكريمة استعراض لقدرة الإله الواحد، الذي يدعو رسلهُ إلى عبادتهِ وحده، فهو- سُبحانه- الذي خلق السماوات والأرض بالحقّ، فحقٌّ على هذه المخلوقات جميعاً أن تعبده، وأن توجّهَ وجوهها إليه[20]، فهو لم يخلقها عبثاً، ولم يشركه في إنشائها وإحداثهما شريك، ولم يُعنه على ذلك مُعين-تعالى- الله عن ذلك إذ ليس في قُدرة أحد سواه أن ينشئ السماوات والأرض، فلا تليق العبادة إلا له[21]، ولا يستحقها أحدٌ غيره.

وبهذا يتبيَّن انَّ الله -تعالى-((بَيَّنَ الأدلة الدالة على قدرته ووحدانيته، بأسلوب بديع، جمع فيه بين دلالة المخلوق على الخالق، ودلالة النِّعْمَة على مُنْعِمَها))[22]، فما على الإنسان إلاَّ أن يتوجّه إلى الخالق المُنعم بالشُّكر على هذه النِّعم العظيمة معترفاً بفضلهِ وكمال قدرته.

* * * * *

نِعْمَةٌ أُخرى من نِعَمِ الله في الخلقِ والإيجادِ على عبادهِ، ألا وهي نِعْمَة خلق النُّجوم، ومن المعلوم انّ النجوم خَلْقٌ من مخلوقات الله –تعالى- كالسماواتِ والأرض والشمس والقمر وغيرها من مظاهر الكون، وتخصيصها بالذكر هُنا لما فيها من نِعْمَة معرفة معالم الطرق للمسافرين برّاً وبحراً، كما أنَّ فيها نِعْمَة التمعُّن في خلق الله, والتفكر بإبداعه وعظيم صنعه، وهي آية من آيات الله- جلَّ شأنه- لمن أراد أن يهتدي، فهي من أكبر النِّعَم فَضلاً

عن النِّعمةِ المذكورة، ففيها تصويرٌ لعظمة الخالق وعظمة قدرته وإبداعه. وبهذا يقولُ الحقُّ– سُبحانه-:﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾،(النَّحل:16).

والمراد بالعلامات هُنا المعالم الموجودة على الطرق للاهتداء بها عند السفر، وهي مظهرٌ من مظاهر نِعَمهِ– سُبحانه-، حيث جعل في الأرض معالم من جبال كبار، وآكام* صغار، وغير ذلك ليهتدي بها المسافرون في سفرهم، وتكون عوناً لهم على الوصول إلى غايتهم[23]، وهذه العلامات
بمثابة الدلائل التي((يستدل بها المسافرون برّاً وبحراً، إذا ضلوا الطريق))[24]، في سفرهم وانتقالهم من مكان إلى آخر.

وجاءت﴿عَلَامَات﴾ نكرة في سياق الإثبات، والنكرة في سياق الإثبات تدل على الإطلاق؛ لأن لكل أهل طريقٍ علامات خاصة يعرفونها، فالمسافر في البرّ له علامات خاصة، وللمسافر في البحر علامات خاصة أيضاً، والعلامات متعددة، ولذا نكّرَت ﴿عَلَامَاتٍ﴾ لتدل على الإطلاق[25]. وأفاد التنكير الكثرة والتنويع، وذلك, لأنَّه لم يُخصص علامة واحدة بحد ذاتها بل كانت متعددة، وزاد هذا الأمر تأكيداً مجيئهُ بصيغة الجمع، ففيه إيحاءٌ بتعدد النِّعم الإلهية.

والمراد بالنجم: الجنس، فيشمل كل نجم يهتدى به المسافر في سفره[26].هذا وقد أفرد (النَّجْم)
هُنا؛ لأن النجم الذي يهتدى به في التعرف إلى الجهات هو نجم واحد، وهو النجم القطبي.. وهذا لا
يمنع من أن يكون هُناك نجوم أخرى يهتدي بها السائرون في الليل، ولكنها ليست نجوماً ثابتة، فبعض النجوم تظهر صيفاً، وبعضها شتاءً. أما النجم القطبي فهو ظاهرٌ أبداً، وفي مكان ثابت دائماً، ومن أجل هذا اختصَّ النَّجم بالذكر هُنا، حيث كان في سياق تعداد نِعَم الله، فيما هيأ سبحانه للناس معالم للتعرُّف بها على مسالك الجهات والبلاد. ولم يكن للنجم هذا الاختصاص، حين كانت الإشارة إلى هذه النِّعْمَة إشارة عامة في سياق نِعَمٍ أُخرى، فذكر مع غيره النجوم، كما في قوله -تعالى-﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾[27].

وفي قوله- تعالى- ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾،(النَّحل:16)، تقديمان وتأخيران، فالأول: تقديم الجار والمجرور(بالنَّجْمِ) على قوله ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، والثاني: تقديم ضمير الجمع (هُمْ) على(يَهْتَدُونَ)، فقد ذكر الزمخشري (ت 538هـ) في كشَّافهِ ((أن التقديم للتخصيص بقوم هم قريش لكونهم أصحاب رحلة وسفر، فكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم))[28]. أما القاسمي (ت1332هـ) فقد ذكر في محاسن التأويل أنَّ تقديم بالنجم للفاصلة، وتقديم الضمير للتقوّي.... مُعَلِّقاً بقوله وهذا أولى من دعوى الزمخشري أن التقديم للتخصيص بقوم هم قريش لكونهم أصحاب رحلة وسفر، وذلك لأن الخطاب في الآيات السابقة عامّاً فكذا يكون في لاحقها[29]. أمّا الطنطاوي (ت1431هـ) فقد ذكر في تفسيرهِ الوسيط أنَّ تقديم (بالنَّجْمِ) ((للاهتمام به، إذ أنَّ الاهتداء بالنجوم أمرٌ هامٌ في حياة المسافرين، ولا سيما الذين يُسافرون في البحر))[30].

والذي أراه أنَّ ما ذهب إليه القاسمي والطنطاوي أولى مما ذهب إليه الزمخشري؛ وذلك لأنَّ مسألة السفر والانتقال لم تكن مسألة خاصة بقريش فقط حتى يُخَصَّصوا بها، على الرغم من أنهم كانوا أصحاب رحلات كثيرة، فدلالة السياق في الآية الكريمة توحي بالعموم وليس فيها إيحاءٌ بالخصوصية لفئةٍ معينة هذا من جهة، ومن جهة أُخرى فإنَّ مسألة الاهتمام بالنجوم كانت مسألة في غاية الأهمية للمسافرين عموماً وليست لقريش فقط، إذ لم يكن لدى المسافرين في تلك الفترة وسيلة أُخرى غير النجوم للاهتداء بها في سفرهم فكان من الأولى تقديم ما هو أهم.

وفي قوله-تعالى-﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾،(النَّحل:16)،((التفات من الخطاب الى الغيبة))[31]، ففي هذه الآية نجد العدول عن الخطاب إلى الغيبة حيث جاء النظم القرآني بضمير الغائب على حين أن سياق النظم يقتضي أن يجيء بضمير المخاطب (وبالنجم أنتم تهتدون)[32].
والذي يتبيَّنُ لنا أنَّ في هذا الالتفات إشارة إلى فائدةٍ مهمَّة وهي ((أنَّه لما كانت الدلالة من النجم أنفع الدلالات وأوضحها في البر والبحر نبَّه على عظمتها بالالتفات إلى مقام الغيبة لإفهام العموم، ولئلا يظنَّ أن المخاطب مخصوص بذلك وزاد التأكيد بتقديم الجار والمجرور، كأنما يشير من طرف خفيٍّ إلى أنَّ دلالة غير النجم ضئيلة لا يُؤبه لها))[33]. ليكون ذلك حديثاً عاماً للناس جميعاً غائبهم وحاضرهم، ذلك أنَّهُ إذا كان الغائبون يهتدون بها، فمن الأولى أن يهتدي بها المخاطبون، ومن ثمّ فلا داعي لذكرهم، إذ هُم مذكورون من باب أولى[34].
ففي هذا الالتفات نجد أنَّ سياق الكلام ((يزداد طلاوة وانتباهاً إلى ما اشتمل عليه))[35]، فقد حقّق العدول على سبيل الالتفات إبراز النِّعْمَة الإلهية بتصورٍ بلاغيٍّ مُجسداً صورة النِّعْمَة الإلهية ليشملَ الجميع المخاطبون والغائبون في أسمى آيات النِّعم.
وقوله(يَهْتَدُونَ) جاء((بمعنى المعرفة))[36]، أي معرفة معالم الطرق والاستدلال عن طريق النجم، وفيه استعارة لطيفة، ففي إطلاق الهداية على المعرفة استعارة تصريحية، فقد شبّه حال الباحث عن طريقهِ من خلال النجم بحال المؤمن الباحث عن هدايته، ثم حذف لفظ المؤمن المشبّه به وبقي المشبّه (يَهْتَدُونَ) دلالة على المعرفة على طريقةِ الاستعارة التصريحية، ولا يخفى علينا انَّ الاستعارةَ تشبيهٌ حذف أحد طرفيه.

فالاستعارة أضاءت نُظم الآية بتصور بلاغي بديع باستعارة الاهتداء للمعرفة، وبهذا يتبيَّنُ أنَّ للاستعارة ((ألفاظاً فيها لا تقصدُ لذاتها وإنَّما لمعانٍ ودلالات نستشفها من وراء وجودها في السياق مُرتبطةٌ بما تقتضي أحكام النُظم والمعاني النحوية))[37].

وقوله(يَهْتَدُونَ) فيه دلالة التجدد والتكرار، أي أنَّ عملية الاهتداء تكون مُتجددة ومتكررة ولم تأتِ مُقيدة بفترةٍ محددة، وذلك لما يحمله الفعل المضارع من دلالة التجدد وتكرار الحدث، وفيه إيحاءٌ بالعمومية أيضاً بدلالة صيغة الجمع التي ورد فيها الفعل، فهي عامة لكل من أراد الاهتداء، وهُنا تتجلى العظمة الإلهية والنِّعْمَة الإلهية بأنَّها نِعْمَة عامة ومتجددة.

* * * * *

﴿الجدول البياني للفنون البلاغيّة الواردة في المبحث الأول﴾

ت	الفنُّ البلاغي	رقم الصفحة	موضع الشَّاهد من الآية	رقم الآية
1	الإيجاز بالحذف	3	﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ** وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	3
2	الإضمار في موضع الإظهار	3	﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ** وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	3
3	التقديم والتأخير	4	﴿ خَلَقَ **السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	3
4	العطف	4	﴿ خَلَقَ **السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	3
5	الطباق	4	﴿ خَلَقَ **السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	3
6	الفصل لتمام الاتصال	5	﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾	3
7	الالتفات	5	﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى **عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾	3
8	التنكير	6	﴿**وَعَلَامَاتٍ** وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	16
9	التقديم والتأخير	7	﴿وَعَلَامَاتٍ **وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾	16
10	التقديم والتأخير	7	﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ **هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾	16
11	الالتفات	8	﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ **هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾	16
12	الاستعارة التصريحية	8	﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ **يَهْتَدُونَ**﴾	16

* * * * *

المبحث الثاني: نِعْمَة خلق الإنسان

بعد بيان نِعْمَة خلق السماوات والأرض والنجوم والحكمة منها، ننتقل في هذا المبحث لبيان نِعْمَة خلق الإنسان ووجوده على هذه الأرض، فهي من أبرز مظاهر النَّعَم الإلهية ومن أعظم آياته الدالَّة على وجوده- سُبحانه-.

وقد خصَّ الله- سُبحانه وتعالى- الإنسان بِنِعَمٍ لم يخصّ بها أحداً من مخلوقاته، منها أنَّه خلقهُ في أحسن الصور لقولهِ- تبارك وتعالى-:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، (التين:4)، وكذلك تكريمهُ وتفضيلهُ على كافة مخلوقاته، لقوله -جلَّ شأنهُ-:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾،(الإسراء:70) ، فَنِعَم الله على الإنسان لا تُعدُّ ولا تُحصى، يقولُ الحقُّ- سبحانهُ- مُخاطباً عباده:﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا..﴾ (النَّحل:18). كما أنَّ هذه المظاهر الكونية التي سبقتْ خلق الإنسان ما هي إلا تمهيدٌ لخلق الإنسان وتسخيرها لمصلحته.

ومن مظاهرِ نِعْمَةِ خلق الإنسان وإيجاده من العدمِ، مُبيّناً عظمة الخالق وعظمة قدرته ونِعْمَتهِ، يقول الحق-تعالى-﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (النَّحل:4).

والآية الكريمة استِئنافٌ بيانيٌّ وهو استدلالٌ على انفرادهِ بالوحدانيَّة في عملية الخلق والإيجاد، وذلك أنَّهُ بعد أنِ استدلَّ عليهم بخلقِ العوالمِ العُليَا والسُّفلى، انتقلَ إلى الاستدلالِ عليهم أيضاً بخلقِ أعجبِ الأشياءِ للمُتأمِّلِ وهو الإنسانُ في طرفي أطوارهِ من كونهِ نُطفةً مَهِينَةً إلى كونهِ عاقلاً فصيحاً مُبيناً بمقاصِدِهِ وعلُومهِ[38].

وفي قولهِ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ إيجازٌ بالحذف، تقديرهُ: خَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ، كما في قوله- تعالى- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾* ففي إضمار الفاعل في مقام الإظهار تعظيماً لشأنه –سبحانه-، فهو غنيٌّ عن الذكر بعد بيان الدلائل البيّنَةِ الواضحة لقدرته وإبداعه في عملية خلق السموات والأرض.
والمقصود بالإنسان في سياق الآية ((جنس الإنسان))[39]، أي نوعهُ، وتعريفهُ ((للعهد الذِّهنيّ، وهو تعريفُ الجنس، أَي خلق الجنس المعلوم الذي تدعونه بالإنسان))[4]، والتعريف هُنا أفاد الاختصاص لما فيه تخصيص جنس الإنسان دون غيره من المخلوقات.

والنطفة: هي مادة التلقيح من الرجل للمرأة[41]. يقول أبو هلال العسكري (ت نحو395هـ) في أصل النطفة: أن قولك النطفة يفيد أنها ماء قليل والماء القليل تسميه العرب النطفة، يقولون: هذه نطفة عذبة أي ماء عذب، ثم كثر استعمال النطفة في المنيّ حتى صار لا يعرف بإطلاقه على غيره[42]، وعلى الرغم من هذا التطور الدلالي فإنَّ الاستعمال الحسي الأول يبقى عالقاً بالكلمة فيجعلها موحية بظلالٍ خاصة مستمدة من ذلك الأصل الحسي، فتكون الكلمة موحية بمعانٍ شتَّى مستمدة من أصل استعمالها، ومن دلالات تعلقت بها في تاريخ استعمالها الطويل[43].

ومن بلاغة القرآن الكريم دقة اختيار ألفاظه، وهذا ما نجدهُ هُنا في اختيار لفظة (النُّطْفَة) دون (المَني)، ومن المعلوم أنَّ ((النطفة لم تكُن نطفة إلاَّ بعد أن كانت مَنيَّاً، لكنها تُسمى كذلك إذا ما استقرت في الرحم))[44]، يقول- تعالى-:﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّنْ مَّنِيٍّ يُمْنَى﴾،(القيامة:37)،فبعد استقرارها في الرحم يُصيبها شيءٌ من غير صفاتها تكون داخلة في الخلق مُهيأة للتخليق، لذا كان ذكر أطوار خلق الإنسان بلفظ النُّطْفَة دون المَنيّ [45]، وهكذا يكتسب القرآن الكريم بلاغتهُ من اختيار ألفاظه في الموضع المناسب لهُ في دقة وإحكام.

وفي قولهِ- تعالى-:﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾،(النَّحل:4)، مَجاز مُرسل، لأن الفاء تدل على التعقيب وكونه خصيماً مبيناً لا يكون عقب خلقه من نطفة ولكنه إشارة إلى ما تؤول إليه حاله، فهو مجازٌ مُرسل والعلاقة اعتبار ما سيكون[46].

فقد صوَّر المجاز المرسل صورة الإنسان المخاصم والمجادل لربه بتصوير بيانيّ بليغٍ موبّخاً المخاصمين والمجادلين بأسلوبٍ بلاغي يليق بعظمة الخالق وكمال نِعْمَته، وذلك لما في وصف الإنسان بالخصيم دلالة على الإفراط في جحود النِّعْمَة وكُفرانها.

والإتيانُ بحرف (إذَا) المُفاجأَة استعارةٌ تبعيَّةٌ، فقد استُعير الحرفُ الدَّالُّ على معنى المُفاجأَة لمعنى ترتُّب الشَّيءِ على غير ما يُظنُّ أَن يترتَّبَ عليه. وهذا المعنى لم يُوضع لهُ حرفٌ ولا مُفاجأَةَ بالحقيقةِ هُنَا لأَنَّ الله لم يفجَأْهُ ذلك ولم يفاجئ أَحداً، ولكنَّ المعنى أَنَّهُ بحيثُ لو تدبَّر النَّاظرُ في خلقِ الإنسانِ لترقَّبَ منهُ الاعتراف بوحدانيَّةِ خالقهِ وبقُدرتهِ على إعادةِ خلقهِ، فإذا سمع منهُ الإشراك والمُجادلةَ في إبطال الوحدانيَّةِ وفي إنكارِ البعثِ كان كمن فاجَأَهُ ذلك. ولمَّا كان حرفُ المُفاجأَة يدُلُّ على حُصولِ الفجأَةِ للمُتَكلِّم بهِ تعيَّنَ أَنْ تَكونَ المفاجأَةُ استعارةً تبعيَّةً [47].

والإتيان بضمير الفصل (هو) دلالة على الإنسان المُخاصم والجاحد، فهو إظهار في مقام إضمار، زيادة تأكيدٍ وتوبيخٍ على شناعةِ المخاصمِ والجاحد لِنِعَم ربّهِ.

ومجيء ﴿خَصِيمٌ﴾ على وزن (فَعِيل) الدالة على المبالغة* لكثرة مخاصمة الإنسان على الباطل، ومما زاد الأمر بياناً ووضوحاً هو مَجيئهُ بصيغة التنكير الدالة على الكثرة والتنوع، ففيه دلالة على شتى أنواع الجدال والخصام، وفي إدماج المبالغة مع التنكير إيحاءٌ على شدّة وكثرة مخاصمة الإنسان وجدله العقيم، كُلُ ذلك دليل على التقصير في إداء الشُّكرِ في حقِ المُنعمِ سبحانه.

وقولهُ: (مُبِينٌ) اسمُ فاعل من أَبانَ اللَّازمة، بمعنى بَانَ وَظَهَرَ، أَي بيّنَ الخُصومة [48]. والمُبِينُ وهو المظهر للحجة، المفصح عما يُريدهُ بألوان من طريق البيان[49]. ومجيئهُ بالصيغة الأسمية فيه الدلالة على الثبوت، أي من شدَّة مُخَاصمتهِ أصبحت المُخاصمة كصفة ثابتة لهُ لا تُفارقه.

والسمة البلاغية اللافتة للنظر في هذا النظم الموجز البليغ، وهي أنَّ الآية الكريمة ((ذكرت صورة تلك النطفة الضعيفة وانتقلت مباشرة إلى صورة الإنسان الخصيم المُبين في خصامه وعداوته، ولم تذكر الآية مراحل خلق الإنسان التفصيلية، لأن المقصود في هذه الآية هو بيان الفرق الشاسع بين صورة النطفة وصورة المخاصم، وما بينهما من فرق عظيم، ويفهم هذا أيضا من (إذا) الفجائية))[50]، الواردة في سياق الآية ونظمها، فقد جاءت نُظم الآية في غاية الإيجاز والبيان والبلاغة.

* * * * *

نِعْمَةٌ أُخرى من نِعَمِ خلق الإنسان تأتي بعد خلقه من نطفةٍ، فيها بيانٌ لعظمة الخالق وعظمة قدرته، وهي إخراج الإنسان من بطن أُمه، إلى الحياة الدنيا بعد أن كان في ظُلمات الرحم، ومنحهِ وسائل العلم من الحواس والإدراكات، يقول الله- جلَّ في عُلاه-:﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾،(النَّحل:78).

افتتاح الخطاب باسم الجلالة (Θ) بأسلوب الإظهار مقام الإضمار فيه إيحاءٌ على عظمة الأمر الذي سيحدث وهو خلق الإنسان، وفي تقديم اسم الجلالة الفاعل(Θ) على فعله (أَخْرَجَكُمْ) أفاد الاختصاص والقصر، فقد حقق التقديم والتأخير هُنا غرضين بلاغيين آخرين عدا التقديم والتأخير، وذلك بتخصيص عملية الإخراج لله جلَّ وعلا، وبقصرِ هذا الإخراج له وحده لا لغيره، ففيه من عظيم النِّعْمَة والمنّة ما يليق بكرم الخالق ولطفه.

يُضاف إلى ذلك أنَّ الإظهارَ في مقام الإضمار حقّق تناساً لطيفاً في نَظم الآية وسياقها، وذلك لما يحمله الخروج من معنى الظهور فكان من المناسب أن يأتي اسمُ من يُخْرِجَهُ ظاهراً وليس مُضمراً، وهذا ما يليق بعظمة الخالق وجميل صنعه وإبداعه في عملية الخلق والإيجاد، فكان من الأنسب التعبير باسم الجلالة صراحة ظاهراً دون اللجوء إلى ضمير يقصده.

وسياق الآية فيه ((عودٌ إلى إكثارِ الدَّلائل على انفراد الله بالتَّصرُّف، وإلى تعداد النِّعَمِ على البشر بما يقتضيه الحالُ من التَّذكير والإنذار))[51]. وفيه أيضاً تنبيهٌ إلى قدرة الله، وإلى ما لهذه القدرة من سلطان حكيم وتصريف محكم[52].

وفي إطلاق الخروج من البطون في قولهِ- تبارك تعالى-﴿أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾، (النَّحل:78)، مَجَازٌ، لأنَّ الإنسان يخرج من الرَّحم وليس من البطن، ومن المعلوم أنَّ الرحمَ جزءٌ من البطن، فكان إطلاق البطون على الأرحام مجازاً مُرسلاً علاقته كلية من إطلاق الكل وهو البطون وإرادة الجزء وهو الأرحام.

ومن لطائف التعبير في سياق هذه الآية أيضاً في قوله- تعالى-﴿أَخْرَجَكُمْ﴾، فقد جاء التعبير بالفعل الماضي وليس بالمضارع فلم يقُل (يُخرِجُكُم)، علماً أنَّ عملية الخروج عملية مستمرة إلى قيام الساعة، وذلك لدلالة الفعل الماضي على الإثبات والتحقيق، ففيه إثبات عملية الإخراج لله- جلَّ وعلا- وليس لأحدٍ غيرهُ.

وليس المُراد بقولهِ- تعالى-﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾،(النَّحل:78)، الجهل، وذلك((لأن وسائل العلم والإدراك لم تعمل بَعْد))[53]، فانتفاء العلم هُنا ظُلمة معنوية مجازية، فهي متقدمة بالزمان على نور الإدراكات* الخمس كلها[54]، وقيل: لا تعلمون شيئاً من منافعكم، والأولى التعميم، لتشمل الآية هذه الأمور الخمسة وغيرها اعتباراً بعموم اللفظ فإن شيئاً نكرة واقعة في سياق النفي[55]. والنكرة في سياق النفي تفيد العموم.

وفي قوله- تعالى-﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ﴾،(النَّحل:78)، تعظيمٌ حيثُ خصَّ الله هذه الأعضاء الثلاثة، لشرفها وفضلها ولأنها مفتاح لكل علم [56]، فهي نِعَمٌ من أجلِّ النِّعَم الإلهية على الإنسان بعد إيجاده من العدم.

وقوله- تعالى-﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ﴾،(النَّحل:78)،عطف على قوله:﴿أَخْرَجَكُمْ﴾ ، إذ إنَّ جَعْلُ السمعِ كان قبل الإخراجِ ولم يكن بعده، وتأخيره في الذكر هُنا وتَقَدُّمُ الإخراجِ لا يدل على أن الجَعْلَ للسمع تأخر عن الإخراج، لأن الواو لا توجب الترتيب [57].

وللخازن (ت741هـ) توجيهٌ لطيفٌ في تقديم الإخراج على هذه الحواس يقول:((ولما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن، فكأنما خُلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وإن كانت قد خلقت قبل ذلك))[58].

وفي سياق قوله-تبارك وتعالى-﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ..﴾،(النَّحل:78)، نلاحظ أيضاً تقديم (السَّمْعَ)على(الأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ)، وللشيخ الشعراوي تعليقاً في غاية الروعة في هذه الآية، إذ يقول:((وتقديم السمع على باقي الحواس، لأنه أول الإدراكات ويصاحب الإنسان منذُ أنْ يُولدَ إلى أنْ يفارق الحياة، ولا يغيب عنه حتى لو كان نائماً؛ لأن بالسمع يتم الاستدعاء من النوم))[59]. أضف إلى ذلك أنَّ العلوم الحاصلة من السمع أضعاف العلوم الحاصلة من البصر، فإنَّ البصر لا يُدرِك إلاَّ بعض الموجودات القريبة التي نُشاهِدُها بالعين، أمَّا السمع يُدرِك الموجودات والمعدومات، والحاضر والغائب والقريب والبعيد، فلا نسبة لإدراك البصر إلى إدراك السمع[60].

أما في تقديم (السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ)على(الْأَفْئِدَةَ) فذلك راجعٌ ((لتقدم الظاهر على الباطن))[61]، ولأنها السادة على جميع الحواس ثُم تُكوِّن جميع المعلومات المكتسبة في الأفئدة، فهذا الترتيب الطبيعي هو الترتيب الذي وافق العلمَ الحديث[62].

ومن بلاغة التعبير في سياق الآية نجد أنَّ(السَّمْعَ) جاء مُفرداً أمَّا (الْأَبْصَارَ) و(الْأَفْئِدَةَ) فقد جاءا جمعين في سياق واحد بأسلوب الوصل عن طريق العطف بالواو، والسبب في ذلك أنَّ ((إفراد السمع باعتبار أن مدركاته نوع واحد ومدركات البصر أكثر من ذلك))[63]،أي أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يدرك سماعَ أكثر من حديثٍ في آنٍ واحدٍ، ولكنه بإمكانه مشاهدة وإدراك أشياء متعددة في آنٍ واحد، ولهذا كان من المناسب إفراد السمع وجمع البصر. وهكذا بالنسبة للأفئدة فقد((جاءت جَمْعاً لأنها متعددة مختلفة، فواحد يَعي ويُدرك، وآخر لا يعي ولا يدرك، وقد يعي واحد أكثر من الآخر))[64].

وفي قوله﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾،(النَّحل:78)، أي هذه النِّعَم التي أنْعَمَها الله علينا لهي أكبر حافز لنا على شكرهِ جل في علاه [65]، وشُكر هذه النِّعَم هو استعمالها فيما خُلقت لأجله، والاستدلال بها على وجوده ووحدانيته وعلمه وقدرته [66]، وفي مجيء (تَشْكُرُونَ) مضارعاً فيه دلالة التجدد والاستمرار، وهذه الدلالة فيها إيحاءٌ بشكر المُنْعِم- سُبحانه- بصورة مُتجددة ومُتكررة، لما في دلالة سياق الآية من تجدد النَّعَم ودوامها مما يُجبُ دوام الشُّكر.

* * * * *

بعد بيان مراحل خلق الإنسان من كونه نُطفة ثُمَّ خُروجه إلى الدُّنيا، وما أنْعَمَ اللهُ لهُ من وسائل العلم والإدراك والحواس، يستكمل التعبير القرآني صورةٌ حياتهِ مُنذُ ولادته إلى وفاته، وفيها بيانٌ أنَّ مُدَّةَ أعْمَار الإنسان هو من علم الله- سُبحانه- وليس لأحد سواه أن يعرف ذلك، وبهذا يقول الحق- تبارك وتعالى-:﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾،(النَّحل:70).

ابتدأتِ الآية الكريمة بإعادة اسمِ الجلالة دون الإضمارِ لأنَّ مقام الاستدلال يقتضي تكرير اسم المستدلِّ على إثباتِ صفاته تصريحاً واضحاً، وجيء بالمُسندِ فعلياً لإفادة تخصيص المسند إليه بالمُسند الفعليّ في الإثبات[67]، وفي هذا التكرار لاسم الجلالة وإعادته بأسلوبِ الإظهار مَزيدُ تنبيه وتأكيد على عظمة الخالق وقدرته في عملية الخلق والإيجاد.

وفي تقديم لفظ الجلالة الفاعل على فعلهِ (خَلَقَكُمْ) أفاد الاختصاص والقصر، كما بيَّناهُ في قوله- تعالى-﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾*، وذلك بتخصيص عملية الخلق لله جلَّ وعلا، وبقصرِ الخلق له وحده لا لغيره، وفي إعادة تقديم الفاعل على فعله في عملية خلق الإنسان تعظيماً لشأنه سُبحانه، وتأكيداً لهم أنَّه هو الخالق لا غيرهُ، وزاد الأمرُ تأكيداً وإثباتاً بمجيء الفعل(خَلَقَكُمْ) بصيغة الماضي كما جاء في (أَخْرَجَكُمْ) الدالة على الإثبات والتحقيق.

ففي هذا الخطاب نجدُ صورةً أُخرى من صور((صنعه الباهر، ومظهر من مظاهر قدرته وألوهيته في خلق الإنسان، فالله خلقكم ولم تكونوا شيئا، ثم يتوفاكم عند انقضاء آجالكم))[68]، والخطاب إن كان للموجودين وقت النزول، فالتعبير بالماضي والمستقبل فيه ظاهر، وإن كان عامًّا، فالماضي بالنسبة إلى وقت وجودهم والاستقبال بالنسبة إلى الخلق [69].

والعطف بـ(ثُمَّ) التي تُفيد الترتيب مع التراخي، فيه دلالة على المُدّة الزمنية بين الفعلين الخلق والوفاة، بمعنى أنَّ الله سُبحانه خَلَقَكُمْ وبعد فترة زمنية حسب تقديره ومشيئته عند انحلال آجالكم يتوفّاكُمْ.

وفي سياق الآية عبرةٌ وهي في الوقت نفسه منَّةٌ، لأَنَّ الخلقَ وهو الإيجادُ من العدم نِعْمَةٌ لشرف الوجود والإنسانيَّة، وفي التَّوفّي أَيضاً نِعَمٌ على المُتَوَفَّى إذ به تندفِعُ آلامُ الهرم، وتتم بهِ النِّعَمُ على نوعه إذ به تنتظمُ حالُ أَفراد النَّوع الباقين بعد ذهاب من قَبلَهُم، هذا كُلُّهُ بحسب الغالب فرداً ونوعاً، واللَّهُ يَخُصُّ بِنِعْمَتِهِ من يشاءُ [70] .

ومن الفنون البديعية في السياق نجد الطباق بين الفعلين(خَلَقَكُمْ- يَتَوَفَّاكُمْ)، والطباق هُنا إيجابيٌّ مبنيٌّ على الإثبات، فقد صوَّر الطباق ببلاغتهِ من خلال علاقة التضاد الموجودة بين الفعلين اللذين يشيران إلى النِّعْمَتين (الخلق والوفاة) بتصور بلاغي مُجَسِّداً عظمة الخالق وعظمة قدرته، مُبيِّناً فيهِ إتمام ما بدأهُ لعبادهِ من النِّعَم.

والمرادُ بأرذل العُمر في قوله- تعالى-﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾،(النَّحل:70)، آخِرُهُ الَّذي تَفسَدُ فيهِ الحواسُّ، ويختلُّ فيهِ التُّطقُ والفكرُ، وقد خصَّت هذه المرحلة من عمر الإنسان بالرَّذيلةِ؛ لأَنَّهُ حالٌ لا رجاءَ بعدها لإصلاح ما فسد[71]. كما أنّ أرذل العمر ليس من المراحل الذي يمرُّ بها كُل إنسانٍ في حياته بدلالة قوله(مِنْكُمْ) والتي تضمنت دلالة التبعيض أي أنَّ بعضُكم سيصل إلى هذه المرحلة من العمر وليس جميعُكم، والذي يُثبتُ هذا أيضاً تقديم (يَتَوَفَّاكُمْ)على (أَرْذَلِ الْعُمُرِ) أي أنَّ منكُم من يتوفى قبل أن يصل إلى هذه المرحلة من العمر.

وإضافةُ الأَرذلِ إلى العُمُرِ هي من إضافةِ الصِّفةِ إلى الموصُوفِ على طريقةِ المجازِ العقليّ، لأَنَّ الموصُوفَ بالأَرذلِ حقيقةً هو حالُ الإنسانِ في عُمُرِهِ وليس العمر نفسه. فأَرذلُ العُمُرِ هو حالُ هرمِ البدنِ وضَعفِ العقلِ، وهو حالٌ في مُدَّةِ العُمُرِ، وأَمَّا مُدَّةِ العُمُر نفسها فهي لا تُوصفُ بالرذالةِ [72].

ومن الصور البيانية الأُخرى في قوله-تعالى-﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾،(النَّحل:70)، والتي تتمثل بالكِنايةِ، فالكِنايةُ هُنا عن الهرم والشيخوخة التي تصيب الإنسان العاجز في سن اليأس عندما تختلُّ حواسهُ ويضعف عقلهُ، وتبرزُ بلاغة الكناية ((بوصفها أسلوباً فنّياً غير مباشر، تُؤدي لفظها الصريح بمعناها إلى معنى ثانٍ ترتبط بالمعنى الأول ويلازمها، وفي هذا إثارة للذهن وحسن وقع في النفس وشدَّة تأثير في المُخاطب بما تمثله من لوازم حسيَّة تُجسد لهُ المعنى المقصود))[73].

ولامُ التَّعليل الدَّاخلةُ على (كَيْ) المصدريّة في قوله﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾،(النَّحل:70)، مُستعملَةٌ في معنى الصَّيرُورة والعاقبة، تشبيهاً للصَّيرورة بالعلَّة استعارةً تُشيرُ إلى أَنَّهُ لا غايَة للمرء في ذلك التَّعمير، وفيه تنبيهٌ على وجوب الإقصار من تلك الرَّغبة، واستعارةُ حرف العلَّة إلى معنى العاقبة مُستعملةٌ في الكلام البليغ في مقام التَّوبيخ [74].

وقوله-تعالى-﴿لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾،(النَّحل:70)، فيه إيجازٌ بالحذف، وذلك ((كون مفعول يَعلمَ محذوفاً لقصد العموم: أي لا يَعْلَمَ شيئاً ما بعد عَلِمَ أشياءَ كثيرة))[75]، وهُنا ليس المراد نفي العلم بالكلية، بل ذلك عبارة عن قلة العلم لغلبة النسيان، وقيل: المعنى لئلا يعلم زيادة على علمهِ شيئاً[76]. وفيه تنبيهٌ أيضاً على أن تفاوت آجال الناس ليس إلا بتقدير قادر حكيم، ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ [77].

وثمَّة لطيفةٌ بلاغية أُخرى ظهرت في الآية الكريمة ، تتمثل بالجناس المغاير*، وذلك لاختلاف اللفظتين من حيث كون (يَعْلَمَ) فعل و(عِلْم) اسم.

وخُتِمَت الآيةُ الكريمة بأسلوب التذييل في قولهِ-تعالى-﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾،(النَّحل:70)، مُؤكداً بـ(إِنَّ) تأكيداً بأسلوبٍ خبري للمنكرين بعظمة علمه وقدرته، ومجيء الصفتين(عَلِيمٌ وقَدِيرٌ) بصيغة المبالغة دلالة على سعة علم الله وكمال قدرته، وزاد الأمر تأكيداً مجيؤهما بصيغة التنكير تعظيماً لشأنه وصفاته جلَّ في عُلاهُ، أي أنَّه هو صاحب كمال العلم والقدرة.

وفي تـقـديـم صفـة العـليم على الـقـدير.((لأنَّ القُدرة تـتعلَّقُ على وفـقِ العلم، وبمقـدارِ سعةِ العـلم يكُونُ عـظمُ القُدرة))[78].

وفي هـذا الحشـد البلاغي اللطيف في نُظم آيات خـلق الإنسـان، فقـد جسَّـد كُل فـنٍّ مـن هـذه الفنـون البلاغـية جانباً من جوانب النِّعـم الإلهية، موحياً بشُّكر الخالق العظيم على نِعَمهِ العظيمة، وذلك لما فيهِ من ترسـيخ عقـيدةٍ وإثبات إيمان بأن هُـناك مُدبِّراً واحداً وراء هذه النِّعـم.

* * * * *

﴿الجدول البياني للفنون البلاغيّة الواردة في المبحث الثاني﴾

رقم الآية	موضع الشَّاهد من الآية	رقم الصفحة	الفنُّ البلاغي	ت
4	﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ** مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُـوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾	10	الإيجـاز بالحـذف	1
4	﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ** مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُـوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾	10	الإضمار في مقـام الإظهـار	2
4	﴿خَلَقَ **الْإِنْسَانَ** مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُـوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾	10	التعريف	3
4	﴿خَلَقَ **الْإِنْسَانَ** مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُـوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾	11	الاختصاص	4
4	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ **فَإِذَا هُـوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾	11	المجاز المرسـل	5
4	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ **فَإِذَا** هُـوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾	12	الاستعارة التبعية	6
4	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا **هُـوَ** خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾	12	الإظهار في مقـام الإضمار	7
4	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ **خَصِيمٌ** مُبِينٌ﴾	12	المبالغة	8
4	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ **خَصِيمٌ** مُبِينٌ﴾	12	التنكير	9
78	﴿**وَاللَّهُ أَخْـرَجَكُمْ** مِـنْ بُطُـونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَـعْلَمُـونَ شَـيْئًا وَجَـعَـلَ لَكُـمُ السَّـمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	13	الإظهار في مقام الإضمار	10
78	﴿**وَاللَّهُ أَخْـرَجَكُمْ** مِـنْ بُطُـونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَـعْلَمُـونَ شَـيْئًا...﴾	13	التقـديم والتـأخير	11
78	﴿**وَاللَّهُ أَخْـرَجَكُمْ** مِـنْ بُطُـونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَـعْلَمُـونَ شَـيْئًا...﴾	13	الاختصاص	12
78	﴿**وَاللَّهُ أَخْـرَجَكُمْ** مِـنْ بُطُـونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَـعْلَمُـونَ شَـيْئًا...﴾	13	القصر	13
78	﴿**وَاللَّهُ أَخْـرَجَكُمْ مِـنْ بُطُـونِ أُمَّهَاتِكُمْ** لَا تَـعْلَمُـونَ شَـيْئًا..﴾	13	المجاز المرسـل	14
78	﴿وَاللَّهُ أَخْـرَجَكُمْ مِـنْ بُطُـونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَـعْلَمُـونَ **شَـيْئًا**....﴾	14	التنكير	15
78	﴿وَاللَّهُ **أَخْـرَجَكُمْ** مِـنْ بُطُـونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَـعْلَمُـونَ شَـيْئًا **وَجَعَلَ لَكُمُ السَّـمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾	14	العطف	16

17	التقديم والتأخير	14	﴿وَاللَّهُ **أَخْرَجَكُمْ** مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا **وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾	78
18	التقديم والتأخير	14	﴿وَجَعَلَ لَكُمُ **السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ** لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	78
19	التقديم والتأخير	15	﴿وَجَعَلَ لَكُمُ **السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ** لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	78
20	الوصل	15	﴿وَجَعَلَ لَكُمُ **السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ** لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	78
21	الإظهار في مقام الإضمار	16	﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ** ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾	70
22	التقديم والتأخير	16	﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ** ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ...﴾	70
23	الاختصاص	16	﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ** ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ...﴾	70
24	القصر	16	﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ** ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ...﴾	70
25	العطف	16	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ **ثُمَّ** يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ...﴾	70
26	الطباق	17	﴿وَاللَّهُ **خَلَقَكُمْ** ثُمَّ **يَتَوَفَّاكُمْ** وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ...﴾	70
27	التقديم والتأخير	17	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ **يَتَوَفَّاكُمْ** وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى **أَرْذَلِ الْعُمُرِ**...﴾	70
28	المجاز العقلي	17	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى **أَرْذَلِ الْعُمُرِ**...﴾	70
29	الكناية	17	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ **وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**...﴾	70
30	الاستعارة	17	﴿..وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ **لِكَيْ** لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ.. ﴾	70
31	الإيجاز بالحذف	18	﴿.... لِكَيْ **لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا** إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾	70
32	الجناس المغاير	18	﴿.... لِكَيْ **لَا يَعْلَمَ** بَعْدَ **عِلْمٍ** شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾	70
33	التذييل	18	﴿.... لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا **إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾	70
34	الأسلوب الطلبي	18	﴿.... لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا **إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾	70
35	المبالغة	18	﴿.... لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ **عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾	70
36	التنكير	18	﴿.... لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ **عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾	70
37	التقديم والتأخير	18	﴿.... لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ **عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾	70

* * * * *

المبحث الثالث: نِعْمَةُ خلق الأنعام

خلق الأنعام آيةٌ أُخرى من آيات اللهِ سُبحانه، ودليلٌ آخر من دلائلِ قدرتهِ العظيمةِ في عملية الخلق والإيجاد، ومن المعلوم أنَّ الأنعام هي من إحدى المقومات الأساسية في حياة الإنسان التي لا يمكن الاستغناء عنها مهما تطوَّرَت الحياة وتقدَّمت، وذلك لما فيها من المنافع والفوائد التي لا تنتهي أبداً مهما أمتدَّ الزمن، وهي من النِّعَم التي خُلقتْ لمصلحة الإنسان، يقول الحق-سُبحانه-﴿وَالْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾،(النَّحل:5).

وسياق الآية تذكيرٌ بلونٍ آخر من ألوان النَّعَم الإلهية الموجبة للشُكر، وابتداء الآية الكريمة بأسلوب التقديم والتأخير فيه إيحاءٌ بأهمية المُقدَّم، وفي إضمار الفاعل مقام الإظهار تعظيماً لشأنه سُبحانه، لأنَّ الله-تعالى- غنيٌّ عن الذكر بعد بيان الدلائل العظيمة على قدرته وإبداعه في عملية الخلق والإيجاد.

والْأَنْعامَ: وهي الأزواجُ الثمانية من الإبل والبقر والضَّأن والمعز وانتصابه بمضمرٍ يفسِّره قوله –تعالى-(خَلَقَها)[79]، وفي تقديم (الْأَنْعامَ) على (خَلَقَها) لأنَّ الموضوع الرئيسي في الآيةِ هو الحديث عن فوائد الأنعام [80]، كما أنَّ تقديم المفعول على فعله يفيد معنى الاختصاص[81]، فقد أفاد التقديم هُنا بتخصيص الخلق للأنعام، دون غيرِها من البهائم، وهذا التخصيص لما فيه من ذِكْرُ منافع الأنعام للناس، كُل ذلك دليل على الكرم الإلهي ونِعْمَته على عبادهِ بمختلف أنواع النّعم.

واللام في(لَكُمْ) فيه إيحاءٌ بالتمليك، بمعنى أنَّ الله- سُبحانه وتعالى- يقول هذه الأنعام مخلوقةٌ لكم وليس لغيركم. وهُنا تتجلى النِّعْمَة الإلهية والمقصد من خلق هذه الأنعام أنَّها خُلقتْ لمصلحة الإنسان ومنفعته.

والمُراد بالدِّفْءُ اسمٌ لما يُتدفَّأُ به، وهي الثِّيابُ المنسُوجَةُ من أَوبارِ الأَنعام وأَصوافها وأَشعارها التي تُتَّخَذُ لغرض اللباس منها، وكذلك تدخل الخيامُ ضمنها [82]. وفي تخصيص الدفء بالذكر من عموم المنافع، للعناية به وللتنويه بأهميته في حياة الناس[83]. وفي تقديمهِ على المنافع لكونه من أولى الضروريات، وكذلك((لرعاية أسلوب الترقي إلى الأعلى))[84]. وعطف ﴿وَمَنافِعُ﴾على ﴿ دِفْءٌ﴾ من باب عطف العام على الخاص، إذ المنافع تشمل ما يستدفأ به منها وغيره [85].

ومن لطائف البلاغة القُرآنية في قولهِ﴿ فِيها دِفْءٌ﴾ فَنُّ الاكتفاء* إذ((نجد الحق- سبحانه- هُنا قد تكلَّم عن الدفئ ولم يتكلم عن البرد، ذلك أن المقابل معلوم، كما في قولهِ تعالى: وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ.....))[86]،(النَّحل:81)، أي تقيكم الحر والبرد. فهُنا اكتفى الباري-عزَّ وجل- بذكر الدِفْئ دون البرد؛ وذلك لأنَّ ((ما يمنع عنكم ضر البرد، يمنع عنكم ضر الحر، ولأن ما يستر من الحر يستر من البرد))[87].

وقد دلَّ التنكيرُ في(مَنافِع) على اختلافها وتنوّعها فالمنافع التي يُحْصَلُ عليها من هذه الأنعام مُختلفة ومتنوعة، كما أنَّ مجيئهُ بصيغةِ الجمع فيه إيحاءٌ آخر بتعدد هذه المنافع وفوائدها؛ وذلك لأنَّ صيغة الجمع هي من أنسب الصيغ في مقام الامتنان بتعداد النِّعَم، يُضاف إلى ذلك مجيئ المنافع بالصيغة الأسمية أيضاً التي تدل على الثبوت، ففيها إيحاءٌ بدوام هذه النِّعَم وثبوتها، كل ذلك دليل على عظمة الخالق جلَّ شأنهُ على قُدرته بمنحِهِ مُختلف أنواع النِّعَم.

وفي قولهِ- تعالى-﴿وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾،(النَّحل:5)، تقديم وتأخير فقد تقدَّم الظرف وهو الجار والمجرور(مِنْها) على الجملة الفعلية (تَأْكُلُونَ) وقد أفاد هذا التقديم غرضين بلاغيين الاختصاص والقصر، وذلك بتخصيص الأكل من هذه الأنعام دون غيرها((لأن الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في مآكلهم عادة))[88]، وقيل: وقد((خَصَّ هذه المنفعة بالذِّكرِ مع دُخُولِهَا تحتَ المنافعِ لأَنَّها أَعظمُها))[89]، وبهذا يقول الدكتور عبدالفتاح لاشين: وتقديم الظرف وهو الجار والمجرور في مقام الإثبات يكون أبلغ من تأخيره، ويكون الغرض إفادة الاختصاص، وإسناد الكلام الواقع بعده إلى صاحب الظرف دون غيره[90]. والغرض الثاني: يتمثل بالقصر وذلك بقصرِ الأكل من هذه الأنعام،((لأن تقديم الظرف مؤذنٌ بالاختصاص، وقد يؤكل من غيرها))[91].

وقولهُ (تَأْكُلُونَ) فقد ذُكِرَ الأكل بعد ذكر المنافع رغم أنَّه من جملتها لما للأكل من المكانة عند الإنسان، وهذا من باب ذكر الخاص بعد العام للأهمية [92]. وفي مجيئِهِ مُضارعاً دلالة على التَّجدد والاستمرار، وذلك لما في الأكل من التكرار في كُل يوم، وهو ما يناسب سياق النِّعَم ومقام الامتنان.

ومن الفنون البلاغية التي أضاءتْ سياق الآية ونُظْمها التفصيلٌ بعد الإجمال، والإيضاحٌ بعد الإبهام، فبعد أن بدأتْ الآية الكريمة مُجمَلَةً ومُبهَمةً في قوله- تعالى-﴿ وَالْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ﴾،(النَّحل:5)، جاء تَفصيلُها وإيضاحُها في قولهِ- تعالى-﴿فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾، (النَّحل:5)، فالتفصيل والإيضاح أبرز النِّعَم الإلهية بتسلسلها تِلوَ الآخر في أسمى آيات النِّعَم، مُوحِياً بِشُكر الخالق العظيم على منحهِ هذه النِّعَم العظيمة.

* * * * *

بعد أن بيَّنت الآيةُ السابقة الحكمة من خلقِ الأنعامِ ومنافِعِها الماديةِ، ننتقلُ هُنا إلى بيانِ المنافع المعنوية من خلقِ هذه الأنعام، إذ إنَّ الإحساسَ والشعورَ بالمنافع المعنوية يأتي بعد إشباع المنافعِ الماديةِ، ولهذا قَدَّم الله عزَّ وجل سياق الآية في المنافع المادية على سياقها في المنافع المعنوية، وهذا من خاصيَّة القُرآن الكريم، إذ إنَّهُ دقيقٌ في غاية الدقة في اختيار تعبيراتهِ البيانية، وبهذا يقول الحقُّ- سُبحانه- مُتمِّماً ما بدأهُ في خلق الأنعام:﴿ وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾،(النَّحل:6).

ففي عطف الآية على سابقها من النِّعَم فيه إيحاءٌ بتسلسل النِّعَم الإلهية وترابطها، وفي إعادة قوله (لَكُمْ) فيه مزيدُ تنبيهٍ على أنَّ هذه الأنعام مخلوقةٌ لكم وليس لغيركم، وهذا من كمال لطف الخالق عزَّ وجل وتمام إحسانه على عباده إذ يخُصَّهم بألوان مختلفة من النِّعَم.

وهُنا تتجلى عظمة الخالق جلَّ شأنه بلونٍ آخر من ألوانِ النَّعَم الإلهية فقد((جعل الله لنا في هذه الأنعام نِعَمَة غير الدفء والمنافع والأكل، وهذه النِّعْمَة هي نِعْمَة السرور الذي يدخل القلب عند النظر إليها، فهي جمال يتمتع به عند رجوع الأنعام إلى مأواها وعند خروجها إلى مرعاها))[93]، ففيهِ كرمٌ إلهيٌّ إضافيٌّ يُضاف إلى النِّعَم المادية في الأنعام.

وفي قوله-تعالى-﴿وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ﴾،(النَّحل:6)، فَنٌّ بلاغي يُسمَّى بوضع المُضمر موضع الظاهر، فالضمير في قولهِ (فِيها) عائدٌ إلى الأنعام فكان مُقتضى السياق أن يأتي هكذا: وَلَكُمْ فِي الأنعام جَمالٌ، ولكنَّه عدل عن الاسم الظاهر إلى الضمير لنكتة بلاغية، والسبب في ذلك:((ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه، وذلك أنَّ السامع متى لم يفهم من الضمير معنىً بقي منتظراً لعقبى الكلام كيف تكون، فيتمكن المسموع بعده فضلُ تمكن في ذهنه، وهو السرُ في التزام تقديمه))[94].

فسياق الآية فيه وقفةٌ جمالية معنوية حوت لوناً آخر من ألوانِ النَّعَم الإلهية تأتي مُتَمِّمَةً لعملية الخلق في الأنعام، فبعد تحقيق الضروريات هُنالك وقفاتٌ كماليّة، إذ ينصُّ البيان القُرآني على أن الأشياء ليست جميلة لذاتها بل لمنفعتها للإنسان في الوقت نفسه، وتَمَتُّعُ الإنسان بالصفات الجميلة يُؤدي إلى تسبيح الخالق- عزَّ وجل-. فالموقف الجمالي بحسب المنهج القُرآني يدعو إلى الترفع عن المنفعة المادية المباشرة. فالأنعامُ مُفيدة بمنافعِها الماديةِ، ولكن هُنالك هيئات تأملية سامية تتجلّى للبصر حين يتمعن بجمال أشكالها ومظاهرها، وهذا يدعو إلى تسبيح الخالق جلَّ وعلا، فالشعور بالجمال يكون بعد إشباع الحاجة المادية، فالظمآن لا يشعر بجمال خرير النهر، كما أن الجائع لا يشعر بجمال الثمار، لأن الجمال يعني إثارة وجدانية لمشاعر راقية[95].

وهذه اللفتة لها قيمتها في بيان نظرة القرآن ونظرة الإسلام إلى الحياة، فالجمال عنصر أصيل في هذه النظرة، وليست النِّعْمَة هي مُجرد تلبية الضرورات من طعام أو شراب أو غير ذلك، بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات تلبية حاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنساني المُرتفع إلى الميل والحاجة للأنعام [96].

ومن الفنون البلاغية في سياق قوله- تعالى-﴿حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾،(النَّحل:6) بلاغة التقديم والتأخير، يقول محمود صافي(ت 1376هـ): وتقديم الإراحة على السرح مع تأخرها في الوجود، لأن الجمال فيها أظهر، وجلب السرور فيها أكمل، ففيها حضور بعد غيبة، وإقبال بعد إدبار، على أحسن ما يكون، إذ تكون ملأ البطون، حافلة الضروع [97]. كما أنَّ الإتيانُ بالمُضارعِ في﴿تُرِيحُونَ وتَسْرَحُونَ﴾،(النَّحل:6)، لأَنَّ ذلك من الأحوالِ المُتكرِرة، وفي تكرُرها تكرُرُ النِّعْمَةِ بمناظرها[98]. وفي تخصيص هذين الوقتين لأَنَّهُما وقتُ نظر النَّاظرين إليها لأَنَّها عند استقرارها في الحظائرِ لا يراها أَحدٌ، وعندَ كونها في مراعيها تكون مُتفرِّقةٌ غيرُ مُجْتمعةٍ كُلُّ واحدٍ منها يرعى في جانبٍ [99].

ومن المحسنّات المعنوية في سياق الآية الطباق بين قوله- تعالى-﴿تُرِيحُونَ- تَسْرَحُونَ﴾ ،(النَّحل:6)، والطباق هُنا طباق إيجابٌ مَبنيٌّ على الإثبات، وفي مجيء المتضادين بالصيغة الفعلية الدالة على التجدد والاستمرار فيه إشارة إلى جمال السبك وتناسق اللفظ ويحدث ذلك ((عندما تكون صيغ المفردات في العبارة متخيرة دقيقة، فإنها تحدث قوة في السبك وجمالاً في التناسق، فضلاً عمَّا تُحدثه من إيقاع خاص ينسجم مع دلالة الجملة والعبارة، ولاشك أنَّ تناغم دلالة المفردات يُودّي تلقائياً إلى تناغم صيغ المفردات))[100]. وبهذا نجد أنَّ بلاغة المطابقة لا تتأتّى من تضاد وتعاكس لفظين مجردين من السّياق أو البناء اللغوي، وإنَّما يكون خفائها وغموضها عندما تندمج وتلتبس مع قوالب المعاني، فتصبح مرتكزا بنائياً يتكئ عليه النص اللغوي في مكوناته وعلاقاته، فتتولّد جمالياتها من اندماجها وإضاءتها للنص اللغوي، مؤدية إلى وضوح دلالات تراكيبه وهنا تبرز بلاغة المطابقة في أجمل صورها [101].

ومن المحسنات اللفظية بين قوله:﴿ تُرِيحُونَ- تَسْرَحُونَ﴾ الجناس المُطرّف*، وذلك لاختلاف اللفظتين لأكثر من حرف، وبهذا نجدُ أنَّ للجناس جمالاً وروعةً يظهر عندما يكون التناسب بين اللفظتين قريباً في الصورة والصوت، مختلفتان في الدلالة والمعنى، وهذا ما أشار إليه الشيخ الجرجاني
بقوله((أما التجنيس فإنَّك لا تستحسن تجانُس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنييها من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمًى بعيداً))[102].

وثمة مُحسِّنة لفظية أُخرى بينها وهي السجع الحالي، ويطلق هذا الفن البديعي((لكل كلمتين جاءتا في الكلام المنثور على زنة واحدة تصلح أن تكون أحداهما قافية أمام صاحبتها))[103]، وقال
الكلاعي* وإنَّما سُميَ هذا الفن بالسجع الحالي((لأنَّه حُلّي بحسن العبارة ولطف الإشارة))[104]، وبهذا يتبين أنَّ تواشج الفنون البلاغية في سياق الآية ونظمها، قدَّم لنا لوحة فنية بلاغية صوَّرت بجمالها النِّعَم الإلهية بأسمى صور التعبير.

* * * * *

﴿الجدول البياني للفنون البلاغيّة الواردة في المبحث الثالث﴾

ت	الفنُّ البلاغي	رقم الصفحة	موضع الشَّاهد من الآية	رقم الآية
1	التقديم والتأخير	21	﴿**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا** لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	5
2	الإضمار في مقام الإظهار	21	﴿**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ** فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	5
3	الاختصاص	21	﴿**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا** لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	5
4	الاختصاص	21	﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ **فِيهَا دِفْءٌ** وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	5
5	التقديم والتأخير	21	﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا **دِفْءٌ وَمَنَافِعُ** وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	5
6	عطف العام على الخاص	22	﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا **دِفْءٌ وَمَنَافِعُ** وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	5
7	الاكتفاء	22	﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ **فِيهَا دِفْءٌ** وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	5
8	التنكير	22	﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ **وَمَنَافِعُ** وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	5
9	التقديم والتأخير	22	﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ **وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾	5
10	الاختصاص	22	﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ **وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾	5

11	القصر	23	﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ **وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾	5
12	ذكـر الخاص بعـد العـام	23	﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ **وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾	5
13	التفصيل بعـــد الإجـمـال	23	﴿**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾	5
14	الإيـضـاح بعـد الإبهـام	23	﴿**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾	5
15	العـطف	23	﴿**وَلَكُمْ** فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾	6
16	الإضمار في مقام الإظهار	24	﴿**وَلَكُمْ فِيهَا** جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾	6
17	التقديم والتأخير	24	وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ **تُرِيحُونَ** وَحِينَ **تَسْرَحُونَ**﴾	
18	الطباق	25	﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ **تُرِيحُونَ** وَحِينَ **تَسْرَحُونَ**﴾	6
19	الجناس المطرّف	25	﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ **تُرِيحُونَ** وَحِينَ **تَسْرَحُونَ**﴾	6
20	السجع الحالي	26	﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ **تُرِيحُونَ** وَحِينَ **تَسْرَحُونَ**﴾	6

* * * * *

النتائج:

يمكن إجمال أهم النتائج التي توصل إليها البحثُ في رحلته البلاغية بين النِّعَم الإلهية بما يلي:

1- عرض الصورة الفنية بكل مكوناتها البلاغية والغرض الفكري الذي جاءت من أجله، مبيّناً أنَّ الفنون البلاغية وحدة متماسكة مترابطة أحدها يُكمل الآخر في إبراز القصد وإيصال الفكرة إلى المتلقي.

2- الانسجام بين الألفاظ والتراكيب من الناحية المعنوية، وهذ ما وجدناه في اختيار لفظة (النُطْفَة) دون (المَنِيّ) في عملية خلق الإنسان وإيجاده من العدم.

3- إنَّ للقرآن الكريم سمةَ بلاغية عالية تكمن في طريقة اختيار الكلمة المناسبة للمقام، وهذا ما بيّناهُ في عطف المفرد وهي (الْأَرْضَ) على الجمع وهي(السَّمَاوَاتِ)، وكذلك في عطف الجمع وهي (الْأَبْصَارَ) و(الْأَفْئِدَةَ) على المفرد وهي (السَّمْعَ).

4- وقف البحث في نِعْمَة خلق الأنعام وقفةٌ جمالية معنوية مُبيّناً الموقف الجمالي بحسب المنهج القُرآني، موضحاً أنَّ بعد تحقيق الضروريات هُنالك وقفاتٌ كماليّة تدعو إلى الترفع عن المنفعة المادية المباشرة، كما بيّن النِّعْمَة ليست مُجرد تلبية للضرورات كالطعام أو الشراب أو غير ذلك، بل هي أيضاً تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات, تلبية حاسة الجمال, ووجدان الفرح, والشعور الإنساني المُرتفع إلى الميل والحاجة للأنعام.

5- بَلَغَ عدد الفنون البلاغية في البحث(تسعة وستين) فنّاً بلاغياً بمختلف أنواعها، وشملت هذه الفنون علوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبديع)، حيث توزعت هذه الفنون على المباحث وفق المنهج التحليلي الذي اتبعه البحث في دراسته التحليلية للآيات القرآنية.

6- بلغ مجموع الفنون البلاغية الواردة في المبحث الأول: اثني عشر فنّاً بلاغياً، أمّا المبحث الثاني فكان لهُ النصيب الأكبر من هذه الفنون البلاغية إذ بلغ مجموعها: سبعة وثلاثين فنّاً بلاغياً، أمّا المبحث الثالث والأخير فبلغ عدد فنونها البلاغية عشرين فنّاً بلاغياً، قمت بعد ذلك بجمع هذه الفنون في نهاية المباحث على شكل جداول تمَّ فيها بيان وتوضيح تفاصيل كل فَنٍ منها بشكل مُفصلً.

7- بعد دراسة ما تضمَّنتها سورة النَّحل من النّعَم الإلهية الظاهرة بدا واضحاً أنَّ هناك الكثير من فنون النِّعم الإلهية في القرآن الكريم تستحق أن تكون دراسة أيضاً، سوى النِّعم الإلهية الظاهرة في غير هذه السورة ، أو النِّعم الإلهية الأُخروية على مستوى القرآن الكريم، خدمةً للكتاب العزيز وبياناً لأعجازه الخالد.

8- وختاماً هذا ما استطعنا أن نسجله في خاتمة هذا البحث، نرجو من الله = سُبحانه= أن نكونَ قد وفّقنا في بيانها، سائلين المولى عزَّ وجل أن يتقبله منَّا وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم العرض عليه ، وأن يجعله جزءاً من العلم النافع لِنكفر به عن سيئاتِنا إنّه نِعم المولى ونِعم المجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمين.

* * * * *

﴿جدول الآيات القرآنية المُتضمّنة لنِعْمَة الخلق في سُورةِ النَّحل﴾

ت	رقم الآية	﴿ الآية القُرآنية ﴾	نوع النِّعْمَة
1	3	﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	خلق السموات والأرض
2	4	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾	خلق الإنسان
3	5	﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	خلق الأنعام
4	6	﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾	خلق الأنعام
5	13	﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾	خلق النباتات والثمار
6	16	﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	خلق النجوم
7	17	﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	مطلق الخلق
8	48	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾	خلق الظِلال
9	70	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾	خلق الإنسان
10	78	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	خلق الإنسان

المصادر والهوامش

(1) ينظر: التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، بيروت -، لبنان، الطبعة العاشرة - 1413 هـ : 2/ 296.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، الشهير بـ(تفسير القرطبي)،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م : 10/ 65.

(3) ينظر: الإمَامُ البِقَاعِيّ جهادُه ومنهاجُ تأويله بلاغة القرْآن الكَرِيم، محمود توفيق محمد سعد، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى1424هـ : 216.

(4) ينظر: التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول) محمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1383هـ - 1964م : 5/ 120.

(5) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ. د. مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1431هـ– 2010م : 4/ 131.

(6) ينظر: من آيات الإعجاز العلمي (السماءُ في القرآن الكريم)، زغلول راغب محمد النَّجار، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، 1428هـ – 2007م : 78.

(7) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1415هـ- 1995م : 330/2.

(8) ينظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي، حقوق الطبع محفوظة لدار الوضاح ، الأردن، عمان(د . ط)، 2003م : 17.

(9) ينظر: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، (د . ط)، 1984م : 14/ 101.

(10) أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، الدكتور محمود السَّيد شيخون، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، والقاهرة الحديثة للطباعة (د . ط)، (ت . ط). : 85 و90.

(11) ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، الطبعة الأولى، 1365هـ- 1946م : 14/ 56.

(12) ينظر: من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة)، الدكتور عبدالفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، (د . ط)، 1403هـ- 1983م : 214-215.

(13) ينظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: 17 و138.

(14) ينظر: التعبير القرآني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، عمان ، دار عمَّار، الطبعة الرابعة، 1427هـ -2006م : 53.

(15) من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة) : 122.

(16) الطباق في القرآن الكريم (دراسة بلاغية)، نِعَم هاشم خالد سليمان الحَمَّاس، رسالة ماجستير، كلية التربية - جامعة الموصل ، بإشراف الدكتورة هناء محمود شهاب أحمد الحمو، 1432هـ - 2002م :22.

(17) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م : 8/ 103.

* وهُنا يجب التنبيه على أنَّ تمام الاتصال هو موضِعٌ من أحد مواضع الفصل في البلاغة، ويُسمى بكمال الاتصال ((ويكون ذلك حين تكون الجملة الثانية بمعنى الأولى أو جُزْءاً منها، حيث تُعامَل الثانية كأنها الأولى نفسها. وهُنا يجب الفصل لعدم جواز عطف الشيء على نفسهِ، أو الجزء على كُلّه))، المُفصّل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، الدكتور عيسى علي العاكوب، تم تدقيق الكتاب علمياً من قبل الدكتور أحمد زياد محبك والدكتور عصام قصبجي والدكتور محمد التونجي منشورات جامعة حلب- كلية الآداب والعلوم الإنسانية،1421هـ-2000م. 299.

(18) ينظر: زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى : 1394هـ)، دار الفكر العربي، (د . ط)، (ت . ط) : 8/ 4131.

(19) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ- 2001م : 15/ 188.

(20) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ،(د. ط)، (د.ت) : 7/ 270.

(21) ينظر: تفسير المراغي: 14/ 56.

(22) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 8/ 103.

(23) ينظر: المصدر نفسه : 8/ 121.

(24) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ : 6/ 360.

(25) ينظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: 41.

(26) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 8/ 121.

(27) سُورة الأنعام: الآية 97. ينظر: التفسير القرآني للقرآن: 7/ 280.

[28] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407ه : 2/ 559.

[29] ينظر: محاسن التأويل : 6/ 360.

[30] التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 8/ 122.

[31] إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ)، (دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص- سورية)، (دار اليمامة، دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، الطبعة الرابعة، 1415ه : 280/5

[32] ينظر: التفسير القرآني للقرآن : 279/7.

[33] إعراب القرآن وبيانه : 280/5.

[34] ينظر: التفسير القرآني للقرآن : 280/7.

[35] المصدر نفسه : 8/ 122.

[36] جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، الطبعة الثانية، 1419ه- 1999م : 68.

[37] فن الاستعارة (دراسة تحليلية في البلاغة والنقد)، الدكتور أحمد عبد السيد الصَّاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب - الإسكندرية ، 1979م : 132.

[38] ينظر: التحرير والتنوير: 14/ 102.

* يُراجع الصفحة: 4 ، من البحث في تحليل الآية 3 من السورة.

[39] التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 8/ 104.

[40] التحرير والتنوير : 14/ 102.

[41] ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 8/ 104.

[42] ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)،حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، (د . ط)، (د . ت) : 348.

[43] ينظر: البلاغة الصّوتية في القرآن الكريم، الدكتور محمد ابراهيم شادي، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع والإعلان- الرسالة - مطابع المختار الإسلامي ، الطبعة الاولى ، 1409ه- 1988م : 38-39.

[44] دقائق الفروق اللغوية في البيان القُرآني ، الدكتور محمد ياس خضر الدوري، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1427ه - 2006م : 99.

[45] ينظر: المصدر نفسه : 100.

[46] ينظر: إعراب القُرآن وبيانه : 274/5.

[47] ينظر: التحرير والتنوير: 103/14.

[48] ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 332/2.

[49] ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 8/ 104.

[50] التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: 18-19.

[51] التحرير والتنوير: 14/ 231.

[52] ينظر: التفسير القُرآني للقرآن: 3/ 334.

[53] تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، (د . ط)، 1997م : 13/ 8113.

* وهُنا ينبغي التنبيه على أنَّ الإدراكات الخمسة: ((والتي هي الحواس الخمس: السمع والبصر والشَّم واللمس والتذوّق، وهي الحواس الظاهرة التي بها يكتسب الإنسان العلوم والمعارف، وبها يُدرِك ما حوله)) المصدر السابق: 13/ 8113.

[54] ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: 745هـ)، المكتبة العنصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1423ه : 34/2.

[55] ينظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)،عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1412ه- 1992م : 289/7.

[56] ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،1420هـ-2000م : 445.

[57] ينظر: التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) تحقيق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1430هـ : 13/ 152.

[58] لباب التأويل في معاني التنزيل، الشهير(بتفسير الخازن)، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ : 3/ 91.

[59] تفسير الشعراوي: 13/ 8114- 8115.

[60] ينظر: من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة) : 201.

[61] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني الشهير(بتفسير الألوسي)، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى:1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ : 7/ 439.

[62] ينظر: تفسير الشعراوي: 13/ 8114.

[63] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 7/ 439.

[64] تفسير الشعراوي: 13/ 8114- 8115.

[65] ينظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: 248.

[66] ينظر: روح البيان، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي, (المتوفى: 1127هـ)، دار الفكر – بيروت، (د . ط)- (د . ت) : 5/ 63.

[67] ينظر: التحرير والتنوير: 14/ 211.

* يراجع الصفحة: 11، من البحث في تحليل الآية 78.

[68] التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة العاشرة، 1413هـ : 2/ 323.

[69] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 7/ 425.

[70] ينظر: التحرير والتنوير: 14/ 211.

[71] ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 2/ 409.

[72] ينظر: التحرير والتنوير: 14/ 212.

[73] الكناية في القُرآن الكريم (موضوعاتها ودلالاته البلاغية)، الدكتور أحمد فتحي رمضان الحياني، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الأولى، 1435هـ-2014م : 66.

[74] ينظر: التحرير والتنوير: 14/ 212.

[75] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 7/ 425.

[76] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي(المتوفى: 741هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت–، لبنان، الطبعة الأولى، 1416هـ : 1/ 431.

[77] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الشهير(بتفسير البيضاوي)،أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،- لبنان، الطبعة الأولى – 1418هـ : 3/ 233. و ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الشهير(بتفسير أبي السعود)، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ،(د. ط)، (د.ت) : 5/ 127.

*الجناس المغاير: هو أن يكون أحد الركنين فعلاً والآخر أسماً. ينظر: المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسُنيَّات) ،إعداد الدكتور محمد التونجي ، والأستاذ راجي الأسمر، راجعه الدكتور إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2001م : 1/251.

[78] التحرير والتنوير: 14/ 213.

[79] ينظر: إرشاد العقل السليم: 5/96.

[80] ينظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: 19.

[81] ينظر: من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة): 197.

[82] ينظر: التحرير والتنوير : 14/ 104.

[83] ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 8/ 105.

[84] إرشاد العقل السليم: 5/97.

[85] ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم : 8/ 105.

* الاكتفاء: وهو أن يقتضي المقامُ ذِكرُ شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الأخر لنكتة ويختصُ غالباً بالارتباط العاطفي. ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة

المصرية العامة للكتاب القاهرة - مصر، 1394هـ-1974م : 3/ 203. وينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1408 هـ- 1988م : 242/1. و ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1403هـ- 1983م : 287/1.

(86) سورة النَّحل، الآية81. وينظر: تفسير الشعراوي : 13/ 7814.

(87) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1429هـ- 2008م : 6/ 3951.

(88) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت –، لبنان، الطبعة الأولى – 1416هـ : 4/ 244.

(89) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت-، لبنان، الطبعة الأولى، 1414هـ : 3 / 178.

(90) ينظر: من أســـرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة): 198.

(91) لباب التأويل في معاني التنزيل: 3/ 67.

(92) ينظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: 20.

(93) المصدر نفسه : 21.

(94) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي (المتوفى: 626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت–، لبنان، الطبعة الثانية، 1407هـ- 1987م : 198. وأســاليب بلاغـية (الفصاحة، البلاغة، المعاني)، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة الأولى، 1980م : 248.

(95) ينظر: جماليات المفردة القرآنية : 16و17و20.

(96) ينظر: في ظلال القـرآن، ســـيِّد قُـطب، دار الشروق، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية والثلاثون، 1423هـ- 2003م : 2161.

(97) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: 1376هـ)، دار الرشيد، دمشق - سوريا، ومؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الرابعة، 1418هـ : 14/ 287.

(98) ينظر: التحرير والتنوير : 14/ 105.

(99) ينظر: فتـح القـديـر: 3/ 178.

(100) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم: 59.

(101) ينظر: الطباق في القـرآن الكريـم: 45.

*الجناس المُطرّف: هو أن يختلف المتجانسان بحرفٍ أَوْ حرفيـن مع تـقارب المخرج . تحقيق الفوائد الغياثية، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: 786 هـ)، تحقيق ودراسة: د. علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1424 هـ : 2/ 812.

(102) أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (المتوفى: 471هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة- مصر، دار المدني بجدة، (د . ط)، (د . ت) : 7.

(103) معالم الكتابة ومغانم الإصابة، عبدالرحيم بن علي بن شيت القرشي، علَّق على حواشيه الخوري قسطنطين الباشا المخلصي، المطبعة الأدبية، بيروت ،– لبنان، 1913م : 69.

* لا يوجد خبر أكيد ويقين حول ولادة الكلاعي ووفاته غير أنَّ محققُ كتابه رضوان محمد الدَّاية يذكر في ترجمته للمؤلف بقولهِ: ((لا تسعفنا كتب التراجم التي تحدثت عن المؤلف بأخبار وافية عن حياته، فمولده ووفاته مجهولان. ثُمَّ بعد ذلك يمضي في سيرته وما ينقله من المصادر حول حياة المؤلف وسيرته إلى أن يرجح أنَّه ولد في أوائل القرن السادس الهجري وتوفي في منتصفه)). ينظر: إحكام صَنعة الكلام، أبو القاسم محمد بن عبدالغفور الكلاعي، تحقيق: رضوان محمد الدَّاية، دار الثقافة، بيروت ، – لبنان، 1966م : 9-10.

(104) المصدر السابق: 97.